Journal of Arabian Peninsula Centre for Educational and Humanity Researches
Volume (1), Issue (3): 30/Oct/ 2019
p: 77- 101
Copyright License
ISSN: 2707-742X

مجلة مركـــز جـــــزيرة العـــــــرب للبحوث التـــربـــوية والإنسانية
المجلد (1)، العدد (3): 30/ اكتوبر/ 2019م
ص: 77- 101
تاريخ الاستلام: 2019/07/20 القبول: 2019/10/15

مراجعاتٌ في فِقْهِ التَّحْلِيَةِ وَالتَّخْلِيَةِ؛ منْ منظورقرآنيٍ

أ.م. د/ سعيد عمر بن دحباج

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك|| كلية التربية || جامعة سيئون|| الجمهورية اليمنية

E: ssdehbaj2018@gmail.com || Phone: 00967- 777936005

الملخص: هدف هذا البحث إلى تقديم مراجعات لقاعدة (التحلية والتخلية) برؤية قرآنية؛ ذلك أن (التحلية والتخلية) أساس لا بد منه في بناء شخصية الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، كما يعد موجهًا لا بد أن يكون حاضرًا لدى رواد الخير لهذه الأمة ودعاتها ومصلحيها والقائمين على الشأن الإرشادي والتربوي والتعليمي والتثقيفي، كما يسعى لتحقيق جملة أهداف هي: 1- الوقوف على معالم فقه التحلية والتخلية وفق المنظور القرآني.2- القيام بمراجعات لبعض ما علق بفقه التحلية والتخلية، وما شابَهُ من معان مخالفة لصحيح العقل وصريح النقل. 3- تقرير وتأكيد مَعْلَمَين من معالم فقه التحلية والتخلية برؤية قرآنية هما: الأول: أن المقصود بالذات وما يستحق الاهتمام هو (التحلية).

الثاني: أن (التخلية) إنما تحصل بالتحلية ومعها لا تتقدمها أو تأتي قبلها. وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة البحثية أن تأتي في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة كالآتي: المقدمة: وتضمنت أهمية دراسة الموضوع وأهدافه، التمهيد: وتضمن التعريف بالتحلية والتخلية، وأهمية فقه التحلية والتخلية، ومنزلته في القرآن الكريم، المبحث الأول: التحلية وهي الأهم والمقصود بالذات، المبحث الثاني: التخلية تحصل بالتحلية ومعها، وخاتمة البحث: وتضمنت أهم نتائج البحث والتوصيات. وبعد منهج الاستقراء عمدة في هذا البحث وذلك بتتبع النصوص القرآنية ذات الصلة بالموضوع ومن ثم تناولها بمنهجية التحليل بما يحقق أهداف البحث، وقد خلص الباحث إلى أن التحلية هي الأهم وهي المقصود بالذات، ولكن شيوع المقالة المتقدمة دون ضوابط ونظرة إجمالية للباب جعل (التخلية) تزاحم بقوة مبدأ (التحلية)، كما أن التخلية إنما تحصل بالتحلية ومعها؛ وهذه- كما أنها حقيقة شرعية قرآنية- فهي يقينية وجودية.

الكلمات المفتاحية: مراجعات. فقه التحلية والتخلية. منظور قرآني.

Reviews in Jurisprudence of Desalination and Jurisprudence; from a Quranic Perspective

Prof. Saeed Omar bin Dehbaj

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences || College of Education || Seiyun University || Republic of Yemen

E: ssdehbaj2018@gmail.com || Phone: 00967- 777936005

Abstract: This research seeks to provide revisions to the rule of (Al-Tahlya and Al-Takhlya) with a Qur'anic vision. This is for (Al-Tahlya and Al-Takhlya) is an essential basis for building the personality of the individual Muslim, the Muslim family and the Muslim community. Additionally, it is a guide that must be present within the minds of the initiators for goodness in this nation, its preachers, reformers and those who are responsible of conducting religious guidance, educational and general awareness issues. It also seeks to achieve a number of objectives, which are: 1- to know the features of Al-Tahlya and Al-Takhlya's jurisprudence according to the Qur'anic perspective. 2- To carry out reviews of some of what was attached to Al-Tahlya and Al-Takhlya's jurisprudence and what has appeared in some of its meanings that are contrary to the true mind and

the explicitly of transfer. 3- Report and confirmation two features of Al-Tahlya and Al-Takhlya's jurisprudence in the view of the Holly Qur'an, which are: First: what is meant and what deserves attention is (Al-Tahlya). Second: (Al-Takhlya) occurs by Al-Tahlia and with it; it does not advance it nor precede it. The nature of this research study required it to consist of: an introduction, preface, two sections and a conclusion, as follows: Introduction: It included the importance of studying the subject and its objectives. Preface: It included the definition of (Al-Tahlya and Al-Takhlya), and the importance of the jurisprudence of Al-Tahlya and Al-Takhlya, and its status in the Holly Qur'an, The first section: Al-Tahlya is the most important and what is intended in particular, The second section: Al-Takhlya is obtained by Al-Tahlya and with it. Conclusion: It included the most important search results and its recommendations, Extrapolation is a main methodology that is applied in this research by following the Qur'anic texts related to the subject and then addressing them with the methodology of analysis in order to achieve the objectives of the research. Thus, The researcher has arrived to a number of results, including:1- Al-Tahlya is the most important and what is intended in particular, but the prevalence of what is commonly said without regulations nor an overall view of the topic, made (Al-Takhlya) vigorously contending the principle of (Al-Tahlya), 2- (Al-Takhlya occurs by Al-Tahlya and with it) and This is also a legislative Qur'anic fact which is considered to be of an existential certainty.

Keywords: Reviews. Jurisprudence and desalination. A Quranic Perspective.

المقدمـة.

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقدوة العالمين القائل: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [1].

(التخلية قبل التحلية) مقولة شائعة وخاصة لدى الدعاة وأرباب التزكية والتربية، ومما يقصد به منها أن تخليص الإنسان من المفاسد والأدران والآفات مقدم على تحليته وتزكيته بالفضائل والمحاسن، وهذا يستدعي بدء الدعوة والتربية بالتخلية من المفاسد والمنكرات والانحرافات بمعنى مواجهة المفاسد أولا وإزالتها، ثم تأتي بعد ذلك المصالح والخصال الحميدة لتغرس في أرض نقية. فيقال لطالب العلم مثلا: قبل أن تطلب العلم يجب أولا أن تطهر نفسك وتزكيها وتخلصها من آفاتها وسوئها، ويعتبرها بعضهم من ركائز دعوات الأنبياء ومبادئهم ويفسرها بأنها ((تطهير الإنسان ظاهرا وباطنا من صور الفساد، وألوان الضلال على اختلافها؛ ليتسنى له الانتقال إلى الصواب والهدى في أمن وهدوء)) [2].

وقد كنت أستشكل مثل هذا القول وتقريره؛ فإذا كان المسلم قبل أن يتهيأ لطلب العلم الشريف عليه أن يكون أولًا قد تطهر من الغل والحسد والغش وسوء الخلق وسوء المعتقد فماذا بقي للعلم بعد ذلك ليصنعه؟! وإذا لم يكن هذا العلم هو الذي يطهره من كل هذا فما فائدة العلم؟! وبالعودة إلى القرآن وإدامة النظر فيه نتوصل إلى أن القول بهذا عليه تعقب وإشكال لا بد من حله، ولذلك جاءت هذه الورقة على سبيل المراجعة لفقه التحلية والتخلية من منظور قرآني.

(1) رواه الترمذي والنسائي، والحاكم وقال: رواته ثقات على شرط الشيخين، ورواه أحمد والبخاري وأبو داود وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة بألفاظ مقاربة وبعض زيادة في نصه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد، وقد ذكره السيوطي وغيره في الأحاديث المتواترة. ينظر: تخريج أحاديث الإحياء للعِراقي وابن السبكى والزبيدي دار العاصمة للنشر – الرياض، ط1، 1987.

(2) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م (ص: 141).

أهمية الموضوع:

يعد فقه (التحلية والتخلية) أساسًا لا بد منه في بناء شخصية الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، كما يعد موجهاً لا بد أن يكون حاضرًا لدى رواد الخير لهذه الأمة ودعاتها ومصلحيها، ولما شَابَ ويشُوبُ هذا البابَ (التحلية والتخلية) من مفاهيم مغلوطة لصقت به وصارت من لوازمه وكان لها بعد انعكاسات سلبية على الأداء التربوي والدعوي والإصلاحي والتثقيفي، لما كان الأمر كذلك كان من الأهمية بمكان إعادة دراسة هذا الباب واستلهام معالمه وموجهاته من معين القرآن وتقريراته، ودرء ما علق به من خطأ في الفهم أو شطط في القول.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الوقوف على معالم فقه التحلية والتخلية وفق المنظور القرآني.
2. القيام بمراجعات لبعض ما علق بفقه التحلية والتخلية وما شابَهُ من معان مخالفة لصحيح العقل وصريح النقل.
3. تقرير وتأكيد مَعْلَمَين من معالم فقه التحلية والتخلية برؤية قرآنية هما:
   - أ- الأول: أن المقصود بالذات وما يستحق التقدمة والاهتمام هو (التحلية).
   - ب- الثاني: أن (التخلية) إنما تحصل بالتحلية ومعها لا تتقدمها أو تأتي قبلها.

الدراسات السابقة.

الكلام في هذه القضية (التخلية والتحلية)، وتقرير تقديم الأولى على الثانية شائع ومعهود لدى أهل العلم من المفسرين، والمحدثين، والمتكلمين في التربية وأحوال القلوب ومقامات العبودية، ولكنه كلام متفرق هنا وهناك، وأما إفراد هذه المسألة بالتأليف بمنظور قرآني فلا أعلم أن أحداً قد سبق لمثل ذلك.

منهجية البحث.

اقتضت طبيعة البحث أن يعتمد الباحث منهجية الدراسة الموضوعية، كما عمد إلى توظيف المنهج الوصفي التحليلي لبيان الرؤية القرآنية لفقه التحلية والتخلية، وقد كان لمنهجية الاستقراء والتتبع للنصوص القرآنية حضور وبروز في معالجة البحث إذ النص القرآني هو مادة هذا البحث وأساسه.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة كالآتي:

- المقدمة: وتضمنت أهمية دراسة الموضوع وأهدافه.
- التمهيد: وتضمن التعريف بالتحلية والتخلية، وأهمية فقه التحلية والتخلية، ومنزلته في القرآن الكريم.
- المبحث الأول: التحلية وهي الأهم والمقصود بالذات.
  - المطلب الأول- مقصوديَّةُ التَّحْلِيَةِ وَأَهَمِيَّتُهَا.
  - المطلب الثاني- قولهُمْ: (التخليةُ تسبقُ التحليةَ).
- المبحث الثاني: التخلية تحصل بالتزكية ومعها.
  - المطلب الأول- (التخليةُ تحصلُ بالتحليةِ) حقيقةٌ شرعيةٌ قرآنيةٌ.
  - المطلب الثاني- (التخليةُ تحصلُ بالتحليةِ) يقينيةٌ وجوديةٌ.

- خاتمة البحث: وتضمنت أهم نتائج البحث والتوصيات.

تمهيد- فقهُ التحليةِ والتخليةِ وأهميتُهُ.

أولاً- المراد بالتحلية والتخلية:

التحلية والتخلية في اللغة:

التحلية من قولهم: حَلَّى الشيء، أي زينه ومنه حُلِيُّ المرأةِ زينتُها، ويقال: سيفٌ مُحَلًّى[3].

وأما التخلية: فتأتي بمعنى الترك أو بمعنى الإطلاق ضد الحبس[4]، والفرق بين اللفظين أن التحلية بمعنى التزين من الحلي، والتخلية بخاء معجمة من الخلوّ والتفريغ[5].

التحلية والتخلية في الاصطلاح:

وأما المراد بلفظَي (التحلية والتخلية) اصطلاحا فعبارات أهل العلم في ذلك متقاربة، ومما قيل في ذلك:

التخلية: هي تخلية القلب من كل العوائق التي تقف في المسير إلى الله تعالى، ومن هذه العوائق: كثرة الذنوب والمعاصي، كثرة الكلام، الإسراف في الطعام، مخالطة الأنام.

وعرفها بعضهم بقوله: ((وهي التطهير من العيوب الباطنة))[6]

وأما التحلية: فهي تحلية القلب بالعمل الصالح الذي يؤدي إلى سلامته وصلاحه وخشوعه لله تعالى.

وعرفها بعضهم بقوله: ((الاتصاف بأنواع الفضائل كالصبر والحلم والصدق والطمأنينة والسخاء والإيثار))[7].

ونلاحظ أن أهل العلم يتوسعون في استخدام هذا المصطلح (التخلية والتحلية) فيجاوزون به ما يكون أو ما ينبغي أن يكون من عباد الله في تزكيتهم وتربيتهم لنفوسهم في الدنيا، يجاوزون به إلى ما يقع في الآخرة مما يتعلق بإثابة وجزاء المؤمنين والمطيعين وعقوبة ومؤاخذة الكفار والعاصين. فيجعلون ذكر النار والنذارة بعذاب الله وأحوال الكفار والفجار من باب التخلية أو الدعوة وحمل العباد للتخلي عن صفاتهم وأفعالهم، في حين يجعلون ذكر الجنة وأحوال أهل الفوز بها وبرضوان الله والتبشير بها من قبيل التحلية، وسيتضح هذا المعنى لاحقا في ثنايا البحث.

---

(3) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري اليمني تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري- مطهر بن على الإرياني- د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)، دار الفكر (دمشق- سورية) الطبعة الأولى، 1420 هـ- 1999 م (1559/3)، تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 2001م (120/14).

(4) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ- 1987م (915/3)، تهذيب اللغة للأزهري 19/9.

(5) ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) دار النشر: دار صادر- بيروت (1/ 206)

(6) البحر المديد 241/1، وينظر: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة بيروت تحقيق: عبد الله دراز 382/3، شرح الأصول الثلاثة، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح 6/9.

(7) البحر المديد 241/1، وينظر: الموافقات للشاطبي 382/3، شرح الأصول الثلاثة، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح 6/9.

ولبديع الزمان النورسي نظرة أبعد وأعمق حيث يقول[8]:((اعلم أن للذات الأحديّ في عالم صفاته الأزلية تجلِّيَيْن جلاليّ وجماليّ. فبتجليهما في عالم صفات الأفعال يتظاهر اللطف والقهر والحسن والهيبة. ثم بالانعطاف في عالم الأفعال يتولد التحلية والتخلية والتزيين والتنزيه. ثم بالانطباع في العالم الأُخروي من عالم الآثار يتجلى اللطف جنة ونورًا، والقهر جهنم ونارًا. ثم بالانعكاس في عالم الذكر ينقسم الذكر إلى الحمد والتسبيح. ثم بتمثلهما في عالم الكلام يتنوع الكلام إلى الأمر والنهي. ثم بالارتسام في عالم الإرشاد يقسمانه إلى الترغيب والترهيب والتبشير والإنذار. ثم بتجليهما على الوجدان يتولد الرجاء والخوف... وهكذا. ثم إن من شأن الإرشاد إدامة الموازنة بين الرجاء والخوف، ليدعو الرجاء إلى أن يسعى بصرف القوى، والخوف إلى أن لا يتجاوز بالاسترسال فلا ييأس من الرحمة فيقعد ملومًا، ولا يأمن العذاب فيتعسف ولا يبالي. فلهذه الحكمة المتسلسلة ما رغّب القرآن إلا وقد رهَّب، وما مدح الأبرار إلا وقرنه بذمّ الفجار))[9].

ثانياً- أهمية فقه التحلية والتخلية:

التحلية والتخلية أو العكس من آكد ما يتوجب على المسلم الاعتناء به، وإذا كان المسلم معنياً بالتزام مرادات الله ومراضيه باطنا وظاهرا فإن هذا لا يتأتى إلا بأن يحلي ظاهره وباطنه بخصال الخير ويخليهما عن خصال السوء والشر، وهذا هو مقتضى الالتزام بأمر الله ونهيه، والشرعة إما أن تكون مأمورات هي محاب الله ومراضيه أو منهيات هي دواعي سخط الله وغضبه، وبهذا تكون التحلية والتخلية هما الدين كله. وبهذا تتأكد أهمية فقه التحلية والتخلية، وبه نفهم هذا الاحتفاء من قبل أهل العلم والإصلاح والتربية من علماء سلف هذه الأمة وخَلَفِها بهذا الباب، ونجدهم يتناولونه مؤكدين عليه مقررين له في كلامهم وهم يفسرون كلام الله ويشرحون حديث نبيه ﷺ ويبينون شرائع الملة، وقد شاع هذا وصار معهودا عند المتقدمين منهم والمتأخرين.

يقول ابن القيم[10] وهو يبين أسرار الوضوء ومعاني ودلالات أذكاره: ((فالله تعالى بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر فهما طهارتان، طهارة البدن وطهارة القلب ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: ﴿أشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين﴾ فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته)) [11].

---

(8) النورسي: بديع الزمان سعيد النورسي، ولد من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة من بحيرة وان في مقاطعة هزان بإقليم بتلس شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شبّ ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة حتى لقب بـ(بديع الزمان) و (سعيدي مشهور)، له جهوده العلمية والإصلاحية في تركيا، وشارك في مقاومة الحلفاء حينما دخلوا اسطنبول محتلين كانت وفاته في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 1379هـ ينظر: العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج لعبد الفتاح أبي غدة.

(9) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر – القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2002م (72).

(10) ابن القيم: محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أحد كبار العلماء مولده ووفاته في دمشق تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه ألف تصانيف كثيرة منها أعلام الموقعين الطرق الحكمية في السياسة الشرعية وغيرها توفي سنة 751هـ ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت 1420هـ- 2000م 1/ 261.

(11) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة (95/1).

وأذكر أنني حضرت ذات يوم خطبة جمعة لأحدهم وكان موضوع الخطبة التحذير من الرياء، وأذكر أن خطبته استمرت قرابة نصف ساعة كلها تحذير وتنفير من الرياء وصور وقوعه في عبادات الناس وسرد للنصوص والآثار وقصص الأولين في ذلك وحينما وصل إلى ما الذي يتوجب على المسلم من وجوب لزوم الإخلاص اكتفى بالإشارة إلى هذا المعنى فحسب، ولم يذكر وسائل معينة على التحقق بالإخلاص وتخلص المسلم من الرياء وتزيله عن القلب وما إلى ذلك، لقد اكتفى ذلك الخطيب بمجرد إشارة إلى وجوب الإخلاص، وأن العبادة لا تقبل ما لم تكن خالصة لوجه الله، أما وضع خطوات عملية، واقتراح سبل ومسالك يمارسها المسلم واقعا وعبادة؛ لكي يتخلى من مرض الرياء فإنه لم يتعرض له، وأنا أشبه من يفعل ذلك بطبيب شخص لك حالة المرض وأفاض وأسهب في بيان خطورته، ولكنه أبقى المريض في حالة ترقب وحيرة من أمره لا يدري كيف يتعامل مع هذا المرض؟

وإذا كان المعهود والشائع في استخدام هذين اللفظين أن تقدم (التخلية) على (التحلية) إلا أننا آثرنا تقديم (التحلية) على (التخلية) ابتداء من صوغ عنوان البحث كما هو ملاحظ، ومن ثم السير على ذلك في ثنايا البحث، وهذا المسلك مقصود في البحث، وسيتجلى أثناء الدراسة ما يصلح مبررا لما اخترناه.

ثالثاً- منزلة فقه التحلية والتخلية (التزكية) في القرآن الكريم:

فقه التحلية والتخلية، أو التصفية والتربية كما يسميه البعض، أو غيرها، كلها إطلاقات قريبة بعضها من بعض وإن كان الأولى تَلَزُّم الأسماء الشرعية والقرآنية، فلو قيل له علم الإحسان أو الإيمان أو التزكية كما هي عبارة القرآن لكان أولى.

والتزكية تشمل التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد التزكية إحدى وظائف الرسالة المهمة التي أولاها الله نبيه، وبذا يتوجب على أتباع نبيه أن يتولوها ويقوموا عليها، والآيات الدالة على ذلك كثيرة.

لقد ذكر الله أن إبراهيم دعا لذرية إسماعيل بدعوة فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]، وقد أخبر الله سبحانه أنه استجاب الدعوة، فقال جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وقال- أيضاً-: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151].

المبحثُ الأوَّلُ- التحليةُ هي الأهمُّ والمقصودُ بالذاتِ

المطلب الأول- مقصوديَّةُ التَّحْلِيَةِ وَأَهَمِيَّتُهَا:

قد تقدم معنا أن المراد بالتحلية هو الإتيان بالمأمورات والخيرات والحسنات، والذي نهدف إلى تقريره والتأكيد عليه هنا أن التحلية هي المقصود بالذات وأن جنس الإتيان بالمعروفات والمأمورات أشرف من ترك المحرمات والمنهيات، وأن هذا هو ما تشهد له نصوص القرآن الكريم والمعهود من طريقته، وقد نبه على هذا وأكده جملة من أهل التحقيق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[12]: ((جِنْسَ فِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ جِنْسِ تَرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ))[13].

ويقرر الفخر الرازي[14] ذات القاعدة حيث يقول: ((مَدَارَ التَّكْلِيفِ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: فِعْلُ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَالثَّانِي: تَرْكُ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالذَّاتِ لَوْ كَانَ هُوَ التَّرْكُ لَوَجَبَ أن لَا يُخْلَقَ أَحَدٌ، لِأَنَّ التَّرْكَ كَانَ حَاصِلاً فِي الْأَزَلِ)) [15]، وعليه؛ فالتحلية التي هي الإتيان بالمأمورات والواجبات والحسنات من قبيل الوجود والإثبات والإيجاب، وأما ترك المحرمات والتنزه عن المآثم فإنها من قبيل العدم والنفي والسلب، والمقصود الأول وهو مراد الخالق خلقه من العدم المحض؛ إذ لو كان مراده السلب والعدمية لما خلق الخلق ابتداء.

يقول ابن القيم مقرراً هذا المعنى: ((امْتِثَال الْأَمر عبودية وتقرب وخدمة وَتلك الْعِبَادَة الَّتِي خلق لأَجلهَا الْخلق كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: 56] فَأخْبر سُبْحَانَهُ أَنه إِنَّمَا خلقهمْ لِلْعِبَادَةِ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا أرسل إِلَى هِم رسله وَأنزل عَلَيْهِم كتبه ليعبدوه فالعبادة هِيَ الْغَايَة الَّتِي خلقُوا لَهَا وَلم يخلقوا لمُجَرّد التّرْك فَإِنَّهُ أَمر عدمي لَا كَمَال فِيهِ من حَيْثُ هُوَ عدم بِخِلَاف امْتِثَال الْمَأْمُور فَإِنَّهُ أَمر وجودي مَطْلُوب الْحُصُول))[16].

ومما قاله الرازي في تقرير هذه القاعدة وتجليتها- أيضًا- ما ذكره عند تفسير قوله – تَعَالَى-: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النساء: 165]: ((وَإِنَّمَا قَدَّمَ الْبِشَارَةَ عَلَى الْإِنْذَارِ؛ لِأَنَّ الْبِشَارَةَ تَجْرِي مَجْرَى حِفْظِ الصِّحَّةِ، وَالْإِنْذَارَ يَجْرِي مَجْرَى إِزَالَةِ الْمَرَضِ، وَلَا شَكَّ أن الْمَقْصُودَ بِالذَّاتِ هُوَ الْأَوَّلُ دُونَ الثَّانِي؛ فَلَا جَرَمَ وَجَبَ تَقْدِيمُهُ فِي الذِّكْرِ))[17].

ويقرر ابن القيم ذات المعنى بشيء من الإسهاب وينتصر له من وجوه عدة؛ منها[18]:

---

(12) ابن تيمية: هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحَرَّاني، الإمام العلم المجدد المجتهد الحنبلي المجدد بعيد الصيت، عني بالحديث وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد والأفراد ألف ثلاثمائة مجلدة وامتحن وأوذي مرارا، و لد بحران سنة 661هـ، و توفي سنة 728هـ ينظر: طبقات الحفاظ للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ ط 1 1 / 521، و تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة 583).

(13) مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م (20/ 85).

(14) الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التميمي الرازي المعروف بابن الخطيب، الشافعي الفقيه، أحد أذكياء العالم، من أئمة الأصول المبرزين، ألف مفاتيح الغيب في علم التفسير، و المسمى بالتفسير الكبير، و أخذ عليه فيه بأنه يورد أموراً كثيرة لا صلة لها بالتفسير و يتوسع في الكلام على العقليات و الكلاميات، وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبه نقداً ويحلها نسيئة، و تكلم عليه بعضهم بما يقدح في معتقده، و مما نقل عنه في آخر عمره مما يدل على وفاته على معتقد حسن: ((لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات: (الرحمن على العرش استوى) (إليه يصعد الكلم)، وأقرأ في النفي: (ليس كمثله شيء) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي))، ولد بالري سنة 543 هـ، و وتوفي بهراه سنة 606 هـ، و (طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودي راجع وضبط الطبعة لجنة من العلماء بإشراف من الناشر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1403 هـ 1983م 217/2.

(15) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة- 1420 هـ (29/ 470).

(16) الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ- 1973 م ص 120.

(17) مفاتيح الغيب للرازي (6/ 375).

(18) الفوائد لابن القيم ص 199.

1) أن فعل الْمَأْمُور أحب إِلَى الله من ترك الْمنْهِي كَمَا دلّت على ذَلِك النُّصُوص كَقَوْلِه: (أحب الْأَعْمَال إِلَى الله الصَّلَاة على وَقتهَا) [19] وَقَوله: (إِلا أنبئكم بِخَير أَعمالكُم، وأزكاها عِنْد مليككم، وأرفعها فِي درجاتكم، وَخير لكم من أَن تلقوا عَدوكُمْ فتضربوا أَعْنَاقهم ويضربوا أَعْنَاقكُم؟ قَالُوا: بلَى يَا رَسُول. الله قَالَ: ذكر الله)[20]، وَقَوله: (اعلموا أَن خير أَعمالكُم الصَّلَاة)[21]، وَغير ذَلِك من النُّصُوص... وَلِهَذَا علّق سُبْحَانَهُ الْمحبَّة بِفعل الْأَوَامِر كَقَوْلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً﴾ [الصف: 4] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134] وَقَوله: ﴿وَأَقْسِطُوا أن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].... إِذا عرف هَذَا فَفعل مَا يُحِبهُ سُبْحَانَهُ مَقْصُود بِالذَّاتِ.

2) أن فعل الْمَأْمُور مَقْصُود لذاته، وَترك الْمنْهِي مَقْصُود لتكميل فعل الْمَأْمُور، فَهُوَ مَنْهِيّ عَنهُ؛ لأجل كَونه يخل بِفعل الْمَأْمُور، أَو يُضعفهُ وينقصه، كَمَا نبه سُبْحَانَهُ على ذَلِك فِي النَّهْي عَن الْخمر وَالْميسر بكونهما يصدان عَن ذكر الله وَعَن الصَّلَاة، فالمنهيات قواطع وموانع صادة عَن فعل المأمورات أَو عَن كمالها؛ فالنهي عَنْهَا من بَاب الْمَقْصُود لغيره وَالْأَمر بالواجبات من بَاب الْمَقْصُود لنَفسِهِ.

3) أن فعل المأمورات من بَاب حفظ قُوَّة الْإِيمَان وبقائها، وَترك المنهيات من بَاب الحمية عَمَّا يشوش قُوَّة الْإِيمَان ويخرجها عَن الِاعْتِدَال، وَحفظ الْقُوَّة مقدم على الحمية؛ فَإِن الْقُوَّة كلما قويت دفعت الْمَوَاد الْفَاسِدَة، وَإِذا ضعفت غلبت الْمَوَاد الْفَاسِدَة؛ فالحمية مُرَادة لغَيْرهَا وَهُوَ حفظ الْقُوَّة وزيادتها وبقاؤها.

4) أن فعل المأمورات حَيَاة الْقلب، وغذاؤه، وزينته وسروره وقرة عينه ولذته ونعيمه، وَترك المنهيات بِدُونِ ذَلِك لَا يحصل لَهُ شَيْئا من ذَلِك؛ فَإِنَّهُ لَو ترك جَمِيع المنهيات، وَلم يَأْتِ بِالْإِيمَان والأعمال الْمَأْمُور بهَا لم يَنْفَعهُ ذَلِك التّرْك شَيْئا وَكَانَ خَالِدا فِي النَّار.

5) أن من فعل المأمورات والمنهيات فَهُوَ إِمَّا نَاجٍ مُطلقاً إِن غلبت حَسَنَاته سيئاته، وَإِمَّا نَاجٍ بعد أَن يُؤْخَذ مِنْهُ الْحق ويعاقب على سيئاته، فمآله إِلَى النجَاة؛ وَذَلِكَ بِفعل الْمَأْمُور وَمن ترك المأمورات والمنهيات فَهُوَ هَالك غير نَاجٍ وَلَا ينجو إِلا بِفعل الْمَأْمُور وَهُوَ التَّوْحِيد.

6) أن الْمَدْعُو إِلَى الْإِيمَان إِذا قَالَ: لَا أصدق وَلَا أكذب وَلَا أحب وَلَا أبْغض وَلَا أعبده وَلَا أعبد غَيره كَانَ كَافِرًا بِمُجَرَّد التّرْك والإعراض، بِخِلَاف مَا إِذا قَالَ: أَنا أصدق الرَّسُول وأحبه وَأُؤْمِنُ بِهِ وأفعل مَا أَمرنِي وَلَكِن شهوتي وإرادتي وطبعي حاكمة عليّ؛ لَا تدعني أترك مَا نهاني عَنهُ، وَأَنا أعلم أَنه قد نهاني، وَكره لي فعل الْمنْهِي، وَلَكِن لَا صَبر لي عَنهُ، فَهَذَا لَا يعد كَافِرًا بذلك وَلَا حكمه حكم الأول؛ فَإِن هَذَا مُطِيع من وَجه وتارك الْمَأْمُور جملَة لَا يعد مُطيعًا.

7) أن الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة إِنَّمَا تتَعَلَّق بِالْأَمر أصلا، وبالنهي تبعا فالمطيع ممتثل الْمَأْمُور والعاصي تَارِك الْمَأْمُور قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 93]، وَقَالَ عَمْرو بن الْعَاصِ عِنْد مَوته: (أَنا الَّذِي أَمرتنِي فعصيت وَلَكِن لَا إِلَه إِلا أَنْت)... وَالْمَقْصُود من إِرْسَال الرُّسُل طَاعَة الْمُرْسل وَلَا تحصل إِلا بامتثال أوامره، وَاجْتنَاب المناهي من تَمام امْتِثَال الْأَوَامِر ولوازمه.

---

(19) أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود. ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط الأولى، 1422هـ 112/1.

(20) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، 1411 – 1990م 673/1.

(21) أخرجه الحاكم في المستدرك 221/1.

8) أن الْمَطْلُوب نَوْعَانِ: مَطْلُوب لنَفسِهِ؛ وَهُوَ الْمَأْمُور بِهِ، ومطلوب إعدامه؛ لمضادته الْمَأْمُور بِهِ وَهُوَ الْمنْهِي عَنهُ لما فِيهِ من الْمفْسدَة المضادة للْمَأْمُور بِهِ.

9) أن الْأَمر وَالنَّهْي فِي بَاب الطّلب نَظِير النَّفْي، وَالْإِثْبَات فِي بَاب الْخَبَر، والمدح وَالثنَاء لَا يحصلان بِالنَّفْيِ الْمَحْض إن لم يتَضَمَّن ثبوتا؛ فَإِن النَّفْي كاسمه عدم لَا كَمَال فِيهِ وَلَا مدح، فَإِذا تضمن ثبوتا صَحَّ الْمَدْح بِهِ، كنفي النسْيَان المستلزم لكَمَال الْعلم وَبَيَانه، وَنفي اللغوب والإعياء والتعب المستلزم لكَمَال الْقُوَّة وَالْقُدْرَة، وَنفي السّنة وَالنَّوْم المستلزم لكَمَال الْحَيَاة والقومية، وَنفي الْوَلَد والصاحبة المستلزم لكَمَال الْغنى وَالْملك والربوبية، وَنفي الشَّرِيك وَالْوَلِيّ وَالشَّفِيع بِدُونِ الْإِذْن المستلزم لكَمَال التَّوْحِيد والتفرّد بالكمال والإلهية وَالْملك، وَنفي الظُّلم المتضمن لكَمَال الْعدْل.

10) أن الله سُبْحَانَهُ جعل جَزَاء المأمورات عشرَة أَمْثَال فعلها، وَجَزَاء المنهيات مثل وَاحِد، وَهَذَا يدل على أن فعل مَا أَمر بِهِ أحب إليهِ من ترك مَا نهى عَنهُ، وَلَو كَانَ الْأَمر بِالْعَكْسِ لكَانَتْ السَّيئَة بِعشْرَة والحسنة بِوَاحِدَة أَو لتَسَاويا.

11) أن الْمنْهِي عَنهُ الْمَقْصُود إعدامه، وَأَن لَا يدْخل فِي الْوُجُود، سَوَاء نوى ذَلِك، أَو لم ينوه وَسَوَاء خطر بِبَالِهِ أَو لم يخْطر، فالمقصود أن لَا يكون، وَأما الْمَأْمُور بِهِ فالمقصود كَونه وإيجاده والتقرب بِهِ نِيَّة وفعلا، وسر الْمَسْأَلَة أن وجود مَا طلب إيجاده أحب إليهِ من عدم مَا طلب إعدامه، وَعدم مَا أحبه أكره إليهِ من وجود مَا يبغضه فمحبته لفعل مَا أَمر بِهِ أعظم من كَرَاهَته لفعل مَا نهى عَنهُ.

12) أن فعل مَا يُحِبهُ والإعانة عَلَيْهِ وجزاؤه وَمَا يَتَرَتَّب عَلَيْهِ من الْمَدْح وَالثنَاء من رَحمته، وَفعل ما يكره وجزاؤهما يَتَرَتَّب عَلَيْهِ من الذَّم والألم وَالْعِقَاب من غَضَبه، وَرَحمته سَابِقَة على غَضَبه غالبة لَهُ، وكل مَا كَانَ من صفة الرَّحْمَة فَهُوَ غَالب لما كَانَ من صفة الْغَضَب؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يكون إلا رحِيما، وَرَحمته من لَوَازِم ذَاته كعلمه وَقدرته وحياته وسَمعه وبصره وإحسانه، فيستحيل أن يكون على خلاف ذَلِك، وَلَيْسَ كَذَلِك غَضَبه فَإِنَّهُ لَيْسَ من لَوَازِم ذَاته، وَلَا يكون غضبانا دَائِما غَضبا لَا يتَصَوَّر انفكاكه؛ بل يَقُول رسله وَأعلم الْخلق بِهِ يَوْم الْقِيَامَة: (إن رَبِّي قد غضب غَضبا لم يغْضب قبله مثله وَلنْ يغْضب بعده مثله)، وَرَحمته وسعت كل شَيْء، وغضبه لم يسع كل شَيْء، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كتب على نَفسه الرَّحْمَة، وَلم يكْتب على نَفسه الْغَضَب، ووسع كل شَيْء رَحْمَة وعلما، وَلم يسع كل شَيْء غَضبا وانتقاما، فالرحمة وَمَا كَانَ بهَا ولوازمها وآثارها غالبة على الْغَضَب، وَمَا كَانَ مِنْهُ وآثاره، فوجود مَا كَانَ بِالرَّحْمَةِ أحب إليهِ من لَوَازِم الْغَضَب.

13) أن آثَار مَا يكرههُ وَهُوَ المنهيات أسْرع زوالا بِمَا يُحِبهُ من زَوَال آثَار مَا يُحِبهُ بِمَا يكرههُ، فآثار كَرَاهَته سريعة الزَّوَال، وَقد يزيلها سُبْحَانَهُ بِالْعَفو والتجاوز، وتزول بالتوبة، وَالِاسْتِغْفَار، والأعمال الصَّالِحَة، وَمَا ذَاك إلا لوُجُود مَا يُحِبهُ من تَوْبَة العَبْد وطاعته وتوحيده؛ فدلّ على أن وجود ذَلِك أحب إليهِ وأرضى لَهُ.

14) أَنه سُبْحَانَهُ قدر مَا يبغضه ويكرهه من المنهيات؛ لما يَتَرَتَّب عَلَيْهَا مِمَّا يُحِبهُ ويفرح بِهِ من المأمورات فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أفرح بتوبة عَبده من الفاقد الْوَاجِد والعقيم الْوَالِد والظمآن الْوَارِد، وَقد ضرب رَسُول الله لفرحه بتوبة العَبْد مثلا لَيْسَ فِي المفروح بِهِ أبلغ مِنْهُ، وَهَذَا الْفَرح إِنَّمَا كَانَ بِفعل الْمَأْمُور بِهِ وَهُوَ التَّوْبَة فَقدر الذَّنب لما يَتَرَتَّب عَلَيْهِ من هَذَا الْفَرح الْعَظِيم الَّذِي وجوده أحب إليهِ من فَوَاته ووجوده بِدُونِ لَازمه مُمْتَنع؛ فَدلَّ على أن وجود مَا يحب أحب إليهِ من فَوَات مَا يكره وَلَيْسَ المُرَاد بذلك أن كل فَرد من أَفْرَاد مَا يحب أحب إليهِ من فَوَات كل فَرد مِمَّا يكره؛ حَتَّى تكون رَكعَتَا الضُّحَى أحب إليهِ من فَوَات قتل الْمُسلم، وَإِنَّمَا المُرَاد أن جنس فعل المأمورات أفضل من جنس ترك الْمَحْظُورَات.

15) أن الْمَأْمُور بِهِ إِذا فَاتَ فَاتَت الْحَيَاة الْمَطْلُوبَة للْعَبد، وَهِي الَّتِي قَالَ تَعَالَى فِيهَا: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، وَقَالَ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: 122]، وَقَالَ فِي حق الْكفَّار: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: 21]، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: 80]، وَأما الْمنْهِي عَنهُ فغايته أن يُوجد الْمَرَض وحياة مَعَ السقم خير من موت فَإِن قيل: وَمن الْمنْهِي

عَنهُ مَا يُوجب الْهَلَاك وَهُوَ الشّرك، قيل: الهلاك إِنَّمَا حصل بِعَدَمِ التَّوْحِيد الْمَأْمُور بِهِ؛ فَلَمَّا فُقِدَ حصل الْهَلَاك؛ فَمَا هلك إلا من عدم إِتْيَانه بالمأمور بِهِ.

16) أن فعل الْمَأْمُور يقتضي ترك الْمنْهِي عَنهُ؛ إِذا فعل على وَجهه من الْإِخْلَاص والمتابعة والنصح لله فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45] وَمُجَرَّد ترك الْمنْهِي لَا يَقْتَضِي فعل الْمَأْمُور وَلَا يستلزمه.

17) أن مَا يُحِبهُ من المأمورات متعلّق بصفاته، وَمَا يكرههُ من المنهيات فمتعلق بمفعولاته، فالمنهيات شرور وتفضي إِلَى شرور، والمأمورات خير، وتفضي إِلَى الْخيرَات، وَالْخَيْر بيدَيْهِ – سُبْحَانَهُ- وَالشَّر لَيْسَ إِلَيهِ؛ فَإِن الشَّرّ لَا يدْخل فِي صِفَاته وَلَا فِي أفعاله وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ من المفعولات؛ مَعَ أَنه شَرّ بِالْإِضَافَة وَالنِّسْبَة إِلَى العَبْد، وَإِلَّا من حَيْثُ إِضَافَته ونسبته إِلَى الْخَالِق سُبْحَانَهُ فَلَيْسَ بشر من هَذِه الْجِهَة فغاية.

التحلية أصل والتخلية فرع:

وبما أن التحلية هي المقصود بالذات فهي . بهذا الاعتبار. تعد الأصل، والتخلية فرع عنها، وفي هذا يقول شيخ الإسلام: ((مِمَّا يُبَيِّنُ أن اتِّبَاعَ الْأَمْرِ أَصْلٌ عَامٌّ، وَأَنَّ اجْتِنَابَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فَرْعٌ خَاصٌّ)) [(22)]، ويؤكد في موضع آخر أن ((فِعْلَ الْمَأْمُورِ بِهِ أَصْلٌ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَأَنَّ تَرْكَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فَرْعٌ، وَهُوَ التَّابِعُ)) [(23)]، ويقول الألوسي[(24)] عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2] ((وقدمت التحلية على التخلية مسارعة إلى إيجاب ما هو المقصود بالذات))[(25)]، وقال في موضع آخر: ((وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية قيل: إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي، وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم، وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم))[(26)].

العقوبات الربانية على ترك الأوامر أشد من عقوبات مو اقعة المحرمات:

مما يؤكد أهمية التحلية وأنها المقصود بالذات أن عقوبة ترك المأمور أعظم وأشد من عقوبة ارتكاب المحظور، يقول شيخ الإسلام: ((جِنْسَ تَرْكِ الْمَأْمُورِ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَأَنَّ مَثُوبَةَ بَنِي آدَمَ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ أَعْظَمُ مِنْ مَثُوبَتِهِمْ عَلَى تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنَّ عُقُوبَتَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَتِهِمْ عَلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ))[(27)].

---

(22) مجموع الفتاوى لابن تيمية (20/ 113).

(23) نفس المصدر (20/ 116).

(24) الألوسي: العلامة المحقق شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود أفندي الألوسي البغدادي، و لد في جانب الكرخ ببغداد سنة 1217 هـ، و كان شيخ العلماء بالعراق و مفتيها، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول و المعقول، و محدثاً مفسراً لكتاب الله، و عالماً باختلاف المذاهب، تقلد الإفتاء ثم عزل عنه، و سافر إلى الموصل فالقسطنطينية، و مر بماردين وسيواس اشتغل بالتدريس و التأليف و هو ابن ثلاث عشرة سنة، و خلف للناس ثروة علمية كبيره منها تفسيره المشهور روح المعاني، و توفي سنة 1270هـ (جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، تأليف د. عبد الله البخاري، ط1 1420هـ- 1999م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ص 33).

(25) تفسير الألوسي = روح المعاني (3/ 230)

(26) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، 1415 هـ (5/ 62).

(27) مجموع الفتاوى لابن تيمية (20/ 85).

ويقول تلميذه ابن القيم: ((هَذِه مَسْأَلَة عَظِيمَة لَهَا شَأْن، وَهِي أن ترك الْأَوَامِر أعظم عِنْد الله من ارْتِكَاب المناهي، وَذَلِكَ من وُجُوه عديدة))[28]، ثم سرد جملة وجوه لتقرير هذا المعنى ومنها[29]:

1- قَالَ سهل بن عبد الله[30]: ترك الْأَمر عِنْد الله أعظم من ارْتِكَاب النَّهْي؛ لِأَن آدم نهي عَن أكل الشَّجَرَة فَأكل مِنْهَا فَتَابَ عَلَيْهِ، وإبليس أَمر أن يسْجد لآدَم فَلم يسْجد؛ فَلم يتب عَلَيْهِ.

2- أن ذَنْب ارْتِكَاب النَّهْي مصدره فِي الْغَالِب الشَّهْوَة وَالْحَاجة، وذنب ترك الْأَمر مصدره فِي الْغَالِب الْكبر والعزة، وَلَا يدْخل الْجنَّة من فِي قلبه مِثْقَال ذرة من كبر، ويدخلها من مَاتَ على التَّوْحِيد وَإِن زنى وسرق.

ومن فرع الكلام عما سبق أن العقوبات الربانية، والمؤاخذة على ترك الأوامر متحققة في الدنيا قبل الآخرة، ويشهد لهذا المعنى جملة نصوص قرآنية منها: قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73] فبترك الولاء في الله ولله تقع الفتنة والفساد الكبير في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً إلى ماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 39] فبترك النفير للجهاد يحصل العذاب والاستبدال.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي إلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 49] فبترك الجهاد واقعوا الفتنة عقابا لهم.

قال الله تعالى عن عقوبات أقوام نسوا أوامره وفرطوا فيها: ﴿فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165]، والنسيان نوع ترك للأمر وتفريط في التزامه، وقد ترتب عليه عقوبات عدة ومتنوعة كما في الآيات، وكثير من هذه العقوبات واقع متحقق في الدنيا، فتارة تكون العقوبة تمكن العداوة والبغضاء بين التاركين لأمر الله ومراده كما في آية المائدة، وتارة تكون أخذهم بغتة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ كما هي آية الأنعام، وأخرى تكون عذابا بئيسا جزاء فسقهم بترك أمر الله ومراده كما هي آية الأعراف.

وقال سبحانه عن قوم سبأ ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16] فقد كانت عاقبة إعراضهم وتركهم لأمر الله والاستجابة لنبيه أن أرسل عليهم سيل العرم، وبدل حالهم إلى أسوأ حال وأشده في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: 77] وهذه في قوم تركوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه؛ فكانت العاقبة أن تمكن النفاق في قلوبهم في الدنيا بما يفضي بعد إلى أشد العذاب يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه جملة من آيات الكتاب العزيز التي تؤكد ترتب العقوبات الدنيوية على ترك الأوامر، وأما العقوبات الأخروية على ذلك فمما لا يحتاج لنوع تدليل واحتجاج؛ إذ الآخرة هي دار الدين والحساب.

---

(28) الفوائد لابن القيم (ص: 119).

(29) ينظر نفس المصدر (ص: 120).

(30) سهل بن عبدالله: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور؛ لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكانت وفاته سنة 283هـ في المحرم، وقيل سنة 273، رضي الله عنه، بالبصرة. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت 430/2.

المطلب الثاني- قولهم: (التخلية تسبق التحلية):

يكثر في كلام المفسرين وشراح الحديث وغيرهم وهم يبينون معاني النصوص ومدلولاتها أن التخلية تسبق التحلية، وهذا كثير شائع في كلامهم[31]، كما نجد القول بتقديم التخلية على التحلية وتقريره مبثوث في كلام كثرة كاثرة من أهل العلم والتربية، وسنقتصر بالذكر لبعض أقوالهم في ذلك؛ إذ لو أردنا الاستقصاء لكل ما جاء في هذا المعنى وإيراده لطال بنا المقام.

قال القاسمي[32] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]: ((وتقديم التقوى على الإحسان؛ لما أن التخلية متقدمة على التحلية))[33].

قال ابن عاشور[34] في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]: ((قدم ذكر علمه ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ على ذكر علمه ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾؛ لأن المقام تعريض بالوعيد للضالين ولأن التخلية مقدمة على التحلية؛ فالوعيد مقدم على الوعد))[35].

ومن ذلك ما يذكر عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، فيقال بأن فيه التحلية بوصف الحق بعد التخلية من وصف الباطل، فحصل التعظيم بالتنكير.

يقول ابن القيّم في الفوائد: ((قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده)) وقال- أيضا-: ((والقلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلّقه بغيره)). ثم يستطرد ابن القيم: "وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود: (الشقي من شقي في بطن أُمه، والسعيد من اتعظ بغيره)[36]" فالحديث جار مجرى التعريف المبين لمعرف مجمل؛ فذلك آكد في التشويق، وقدم الشقي على السعيد، تخلية

---

(31) ينظر: جواهر القرآن أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط الثانية، 1406 هـ- 1986 م (ص: 69)، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (6/ 425)، تفسير الألوسي = روح المعاني (1/ 156)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي- بيروت (4/ 277)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن مثلا على خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م (4/ 101)، التحرير والتنوير (1/ 452)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ط الأولى (1/ 92)، الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة ط السادسة، 1424 هـ (1/ 601).

(32) القاسمي: جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. ولد سنة 1283هـ- وتوفي 1332 هـ، من أبرز مؤلفاته محاسن التأويل في التفسير. ينظر: الأعلام للزركلي 135/2.

(33) "محاسن التأويل" للقاسمي. وينظر كلامه عند تفسير قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى*أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى}، وغيره من المواضع.

(34) ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن ولد سنة 1296هـ وتوفي 1393 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي 174/6.

(35)- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، وينظر كلامه- أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21)} وغيرها من المواضع.

(36) أخرجه مسلم في صحيحه 2037/4

قبل التحلية؛ إذ النذير في هذا المقام أولى بالتقديم من البشير؛ فدرء المفاسد التي تتولد من الشقاوة مقدم على جلب المصالح التي تتولد من السعادة.

وبالتأمل في كتاب الله تعالى- مليا- نجد أن قاعدة (تقديم التخلية على التحلية) ليست مطردة ومستقرة، فلربما جاء في كلام الله وكلام نبيه ما يخالف ذلك، وسنورد جملة من النصوص القرآنية الشاهدة لذلك:

1) قال الله- تعالى-: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 130-132]. ففي هذه الآيات بدء بالتحلية حيث أمره بالصبر والتسبيح، ثم ثنى بالتخلية فنهاه عن أن يمد عينيه إلى ما متع به أزواجا منهم، ثم عاد للأمر بالصلاة والاصطبار عليها وهذه تحلية.

2) قال الله تعالى: ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: 74]، وإيتاءه العلم والحكمة من قبيل التحلية التي سبقت إنجاءه من القوم الفاسقين وهذه الثانية تخلية. ومما جاء في شأن لوط أنه قال لهم: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78]، وكأنه بتزويجهم بناته تحصل التخلية عن مفسدتهم.

3) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94] فبالعمل الصالح والإيمان حصلت التخلية (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ).

4) قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1- 11]، فنلاحظ بأن السياق في وصف المؤمنين قد بدأ بذكر تحلية أولا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، ثم أعقبتها تخلية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، ثم تحلية ﴿الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾...الخ وتتعاقب التحلية والتخلية في السياق؛ بما ينبئ ويؤكد ما سبق أن أشرنا إليه آنفا.

5) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 35]، ففي سرد الآية ذكر لصفات أهل مغفرة الله، وبالتأمل في العشر الخصال التي أثنى الله بها عليهم نجد أكثرها من قبيل الحسنات المأمور بها (تحلية)، وهي التي بدء بها في السياق، ولا نجد ما هو من قبيل (التخلية) إلا خصلة واحدة أو اثنتين ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾.

6) كثيراً ما نجد المفسرين يعللون تقديم الوعيد على الوعد والبشارة على النذارة بأنه من تقديم التخلية على التحلية، ولكن بالتتبع والاستقراء لمواضع كثيرة في كتاب الله نجد أن هذه ليست بقاعدة مطردة، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (45) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (47) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: 45- 48]، ونلاحظ هنا البدء بالتحلية ﴿شَاهِداً وَمُبَشِّراً﴾، ثم التخلية ﴿وَنَذِيراً﴾، ثم عودا للتحلية ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً

مُنِيراً (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾، ثم تخلية ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾، والختم بتحلية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾.

7) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (56) أن الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ [الأحزاب: 56- 58] فقد بدأ بذكر الصلاة على النبي، وهذا من التحلية، ثم شنع على من يؤذي النبي ولعنهم وتوعد من يؤذي المؤمنين والمؤمنات، وهذه تخلية لحقت تحلية.

8) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ أن الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] وهنا أمر أولا بدعائه ووعد الداعين بالإجابة، ثم توعد المعرضين عن الدعاء بعذاب جهنم، وهنا تحلية سبقت تخلية.

9) قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 6، 7] حيث جاء طلب التحلي بالهداية إلى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم، وأعقبه بطلب التخلي عن صراط المغضوب عليهم وأهل الضلال.

10) قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، حيث بدء بالأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وكل هذا تحلية، ثم أعقبه بالتخلية بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذه من أجمع آيات القرآن الكريم، وهي أصل أصيل في باب التحلية والتخلية.

11) قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91]، وهذه تحلية أعقبتها تخلية.

12) قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ أن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ أن يَشَأْ يُعَذِّبْكُم﴾ [الإسراء: 54] وهذا تقديم للتحلية على التخلية.

13) قوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً (12) وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً (13) وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ [مريم: 12- 14]، فبدأ بأخذه للكتاب وإيتائه الحكم وتحننه عليه، ثم ذكر تزكيته له ووصفه بالتقى، ونفي عنه صفتي التجبر والعصيان، وهنا سبقت التحلية التخلية.

14) والمعهود من طريقة القرآن تقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، والآيات في ذلك كثيرة جدا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وقوله –سبحانه-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وقوله- أيضاً-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71]، وقوله: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 112]، وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: 17]، بما يدل على أهمية الأمر بالمعروف وأولويته، وقد جانب بعضهم الصواب حينما قال: ((النهي عن المنكر مقدّم على الأمر بالمعروف، من باب التخْلية مُقدَّمة على التحلية))[37].

التحلية والتخلية في كلمة التوحيد:

إن مما شاع لتقرير أسبقية التخلية على التحلية استدلالهم ببعض نصوص في باب التوحيد يرونها جاءت بذكر التخلية قبل التحلية ومن ذلك:

1- كلمة التوحيد ذاتها (لا إله إلا الله)، ويقول الله – تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا اللَّه﴾ [محمد: 19].

(37) سلم أخلاق النبوة محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، دار القلم للتراث – القاهرة، ط الثانية- 1419 هـ- 1998 م (ص: 84).

2- قوله – تعالى-: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256].

ويذهب من يستدل بهذه الآيات وأمثالها إلى أنها جاءت بذكر التخلية أولا، ففي كلمة التوحيد نفي للألوهية أولا، ثم يعقبها إثبات ألوهية الله، ومثله في الآية في الثانية حيث بدأت باشتراط الكفر بالطاغوت ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وهو تخلية، ثم جاءت التحلية بالإيمان بالله ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، والحقيقة أن تقرير هذا المعنى على هذا النحو يقتضي ويلزم منه أن من يريد أن يدخل في الإسلام أن يمر بمرحلتين كل واحدة منهما تقع في وحدة زمنية يخصها، فتقع منه التخلية أولا بما تعنيه من نفي الألوهية مطلقا، ثم تعقبها التحلية بإثبات الألوهية لله وحده، ونحن نسأل هؤلاء أفرأيتم لو بدأ أحدهم بالعمل بلازم قولكم فبدأ بالتخلية والتي تعني نفي الألوهية بإطلاق ثم اخترمه أجله لحظتها قبل أن يثبت ألوهية الله وتوحيده هل يكون ناجيا!؟ بالتأكيد لن يكون ذلك منجيا له ((بل مَتى خلا قلبه من التَّوْحِيد رَأْسا فَلم يوحد الله فَهُوَ هَالك))[38].

إن تقرير حدوث التخلية على النحو الذي يصنعه هؤلاء يعد مدخلا لاختلالات، وربما أساء بعضهم؛ بل قد أساء توظيفه بنحو خاطئ، ورتب عليه إلزامات ما أنزل الله بها من سلطان، وقد شنع ابن تيمية على مسلك فريق من أرباب التصوف الذين يؤصلون لمسألة التخلية بنحو من هذا حيث يقول: ((وَلَكِنْ أَمَرُوا الْمُرِيدَ أن يُفَرِّغَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّى قَدْ يَأْمُرُوهُ أن يَقْعُدَ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ وَيُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَيَقُولَ: اللَّه اللَّه. وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ إذَا فَرَّغَ قَلْبَهُ اسْتَعَدَّ بِذَلِكَ؛ فَيَنْزِلُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ الْمَعْرِفَةِ مَا هُوَ الْمَطْلُوبُ بَلْ))[39]، ومما قاله ابن تيمية في ذات السياق: ((أَنَّ الْإِنْسَانَ إذَا فَرَّغَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ خَاطِرٍ فَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ أن مَا يَحْصُلُ فِيهِ حَقٌّ؟ هَذَا إمَّا أن يُعْلَمَ بِعَقْلِ أَوْ سَمْعٍ، وَكِلَاهُمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ))[40]، وقال- أيضاً-: ((قَدْ عُلِمَ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ أَنَّهُ إذَا فَرَّغَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَّتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، ثُمَّ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ كَمَا كَانَتْ تَتَنَزَّلُ عَلَى الْكُهَّانِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إنَّمَا يَمْنَعُهُ مِنْ الدُّخُولِ إلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، فَإِذَا خَلَا مِنْ ذَلِكَ تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]))[41]، ويقول: ((وَخَاتَمُ الرُّسُلِ ﷺقَدْ أَمَرَ أُمَّتَهُ بِعِبَادَاتِ شَرْعِيَّةٍ مِنْ صَلَاةٍ وَذِكْرٍ وَدُعَاءٍ وَقِرَاءَةٍ لَمْ يَأْمُرْهُمْ قَطُّ بِتَفْرِيغِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ خَاطِرٍ وَانْتِظَارِ مَا يَنْزِلُ... وَهِيَ طَرِيقَةٌ جَاهِلِيَّةٌ لَا تُوجِبُ الْوُصُولَ إلى الْمَطْلُوبِ إلا بِطَرِيقِ الِاتِّفَاقِ بِأَنْ يَقْذِفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ إلْهَاماً يَنْفَعُهُ؟ وَهَذَا قَدْ يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ. وَلَكِنَّ التَّفْرِيغَ وَالتَّخْلِيَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ أن يُفَرِّغَ قَلْبَهُ مِمَّا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَمْلَأَهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَيُفَرِّغُهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَيَمْلَؤُهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ يُفَرِّغُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِ اللَّهِ وَيَمْلَؤُهُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ يُخْرِجُ عَنْهُ خَوْفَ غَيْرِ اللَّهِ وَيُدْخِلُ فِيهِ خَوْفَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْفِي عَنْهُ التَّوَكُّلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَيُثَبِّتُ فِيهِ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الْمُتَضَمِّنُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي يَمُدُّهُ الْقُرْآنُ وَيُقَوِّيهِ لَا يُنَاقِضُهُ وَيُنَافِيهِ))[42].

والحق أن التخلية إنما ينبغي أن تحصل بالتحلية، سواء في باب المعتقد أو التربية والتزكية، أو غيرها من مسالك الديانة؛ فإن المسلم في باب التوحيد بإثباته ألوهية الله وتوحيده يكون قد حقق المراد منه من تخلية قلبه عن ألوهية ما سوى الله، ولنا عودة لتقرير هذا المعنى وتجليته أكثر في المبحث الثاني بحول الله.

---

(38) الفوائد لابن القيم ص121.

(39) مجموع الفتاوى (10/ 398).

(40) نفس المصدر (10/ 398).

(41) نفس المصدر (10/ 398).

(42) مجموع الفتاوى (10/ 398).

المبحث الثاني- التخليةُ تحصلُ بالتحليةِ وَمَعَهَا؛ حقيقةٌ شرعيةٌ قرآنيةٌ و يقينيةٌ وجوديةٌ

المطلب الأول- (التخليةُ تحصلُ بالتحليةِ)حقيقةٌ شرعيةٌ قرآنيةٌ:

إذا كان قد تقرر في المبحث الأول أن التحلية هي المقصود بالذات وأنها الأهم، فإن هذا المبحث يتجه لتقرير معنى آخر والتأكيد عليه وهو أن التخلية إنما تحصل بالتحلية ومعها، وأن ما شاع وذاع من القول بـ(تقديم التخلية على التحلية) لا بد أن يقيد بهذا القيد ويضبط بهذا الضابط، وهذا ما سنحاول أن نستجليه في السطور القادمة.

أولاً – الرسالة المحمدية (تحلية) حصلت بها (التخلية):

لقد أرسل الله نبيه محمداً على حين فترة من الرسل، بعد أن عم الشرك وفساده أرجاء الأرض، فكان أول ما ابتعثه الله أن أرسل إليه جبريل- عليه السلام- في غار حراء، وكان أول ما ألقاه عليه من كلام الله ووحيه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. وبالتأمل في هذا الحدث العظيم الذي كان فاتحة عهد جديد هو عهد إزالة الشرك، وإقرار توحيد الله باعتباره الأساس لمنهج الله الخاتم وشريعته المحكمة، هذا الحدث يمثل حقيقة أن التخلية إنما تقع بالتحلية، وتأتي تبعا لها كأثر من آثارها، ويمكن تقرير هذا من عدة وجوه:

أولاً- أن إرسال جبريل إلى محمد عليهما السلام برسالة السماء وشريعة الله الخالدة الكاملة أمر وجودي لا عدمي (سلبي)، وهو المقصود بالذات، وبه وعلى أساسه سيزال الشرك والكفر من الأرض، ولو كانت إزالة الشرك – وهو السيئة والمفسدة الكبرى – هو المقصود والمراد من لدن الله لأزال الله كل المشركين والكفار وأهلكهم بأمره وقدرته، ولم يكن من داع لشريعة ولا رسالة ولا رسول.

ثانياً– في اللحظات الأولى لابتعاث الله لنبيه بكلماته التي أوحاها جبريل إليه وهي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1- 5] نلحظ معنى وجوب تقدم وتقديم الفعل، والمبادرة بإيجاد البديل الخير الطيب الصالح النافع – وهو القراءة باسم الله – عن الكفر والشرك بالله، فبحضور البديل الصالح يزاحم المعنى الشركي والمعتقد الكفري.

ثالثاً– لقد سبق تنزل جبريل على نبي الله محمد اختلاء النبي بنفسه وتحنثه الليالي ذوات العدد في الغار، وفي التحنث معنى التأمل والتفكر والتدبر والتعبد، وكلها معان ودلالات إيجابية، فلكأن في هذا إشارة إلى أن قيام الداعية بشأن الدعوة لن يتأتى إلا بعد بناء ذاته وتعزيز وتمكين حقائق التعبد لله في نفسه؛ بما يؤهله بعد للاضطلاع بمهام التحلية والتخلية لغيره.

ثانياً- القرآن يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

باستقراء أدلة الكتاب والسنة نصل إلى أن التحلية هي التي تحقق التخلية، و تساعد عليها، وأن غرس الفضائل وتأسيس المصالح هو الذي يمكن من دفع الرذائل والمفاسد، وأن إثبات الحق وإظهاره هو الذي يبطل الباطل ويذهبه، وأن الحسنات هي التي تزيل السيئات. ولذلك يصح أن يقال بأن من الأولويات بحسب الرؤية القرآنية والمنظور القرآني تقديم الاهتمام بالمعروفات، والواجبات، والأفعال، واستجلاب المصالح، على النهي عن المحرمات، ومحاربة المفاسد، ومواجهة المنكرات؛ إذ بالأول يتحقق الثاني، وبالأول تزاحم المحرمات وتقلص مساحتها، والأدلة على هذا من كتاب متكاثرة:

1- بالصلوات يتخلى المسلم عن السيئات وتكفر عنه:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ أن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114] فالحسنات لا تنتظر حتى التخلية، وحتى يفرغ المكان لها، بل هي التي تنجز التخلية بوجودها وهي التي تزيل السيئات وتحل محلها. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ أن الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45] فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتزيلهما.

2- بالدعاء تقع التخلية:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ [مريم: 4] فبالدعاء يزول الشقاء. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] فإصلاح الزوجة لزكريا حتى أنها حملت له بيحيى علل بالمسارعة للخيرات والالتجاء إلى الله ودعائه وخشوعهم له وهذه كلها حسنات أثمرت تخلية وصلاحا.

3- **بتلاوة القرآن تحصل التخلية ويقع الشفاء من العلل:**

وتقرير هذا المعنى ورد في عدة مواضع من كتاب الله: قال الله- تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه: 113]، فبتنزل القرآن وما جاء فيه من النذارة والوعيد تتحقق التقوى ويحدث التذكر، وهنا تحلية حصل بها تخلية وتحلية في آن. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ [الإسراء: 45]، وهنا تحلية حصلت بها تخلية، فبالقرآن وتلاوته، يجعل الله بينه وبين غير المؤمنين حجابا.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57] فبالقرآن وتلاوته تشفى أمراض القلوب وتقع الهداية والرحمة.

يتبين بالآيات المذكورة- آنفا- أن القرآن وتلاوته مسلك مهم في تخلية القلب من أمراضه وعلله، ولكن قد ((يظن البعض أن علاج القلب من أمراضه لابد أن يسبق العودة إلى القرآن، فالقلب المريض لا يمكنه الانتفاع الحقيقي بالقرآن- كما يقولون- ويرفع هؤلاء شعار «التخلية قبل التحلية» فإن كان الأمر كذلك فما هو إذًا دور القرآن؟

ألم يصفه الله عز وجل بأنه شفاء لما في الصدور؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

فالقرآن نعم الدواء لأمراض القلوب، فقوة نوره تخترق الظلمات فتبددها، وتحرق ما يقابلها من شهوات وشبهات، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

نعم في البداية سيجد نور القرآن بعض الصعوبة في الدخول إلى القلب بسبب حجب الظلمات التي تراكمت عليه من آثار المعاصي والغفلات، ولكن هذه الحجب لن تستطيع أن تقاوم طويلا دخول أشعة نور القرآن إلى القلب إذا ما داوم الشخص على تلاوته بتدبر، وكلما دخل النور إلى جزء من أجزاء القلب انطرد منه الهوى وعادت إليه الحياة مرة أخرى، إلى أن يأتي الوقت الذي يعود فيها القلب إلى كامل صحته، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17] [43].

(43) العودة إلى القرآن لماذا وكيف، مجدي الهلالي (ص: 92).

والحق أن من يتبنى طريقة التخلية قبل التحلية سيظل يراوح في مكانه، ولن يصل إلى مبتغاه، من تطهير قلبه أولا من أمراضه، لأنه كلما فتش في نفسه سيجد آفات وعيوبا، وكلما تخلص من واحد منها ظهر آخر، ولن يستطيع أن يدعي في يوم من الأيام أنه تخلص منها جميعا[44].

4- بالصيام تقع التخلية:

وكذلك الصيام لا ينتظر وجود التخلية بل هو يقوم بها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

5- بأداء الزكاة تقع التخلية من الشح والأثرة والذنوب:

قال الله: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ أن صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ **[التوبة: 103]** فالزكاة هي التي تنقي وتزكي وتطهر النفس بأدائها، وتحقق في ذات الوقت التخلية والتحلية، التخلية من أدواء البخل والشح، وتحلية فاعلها بخصال الجود والكرم؛ فالتطهير يحصل بها ومعها لا قبلها.

ويظهر أن العلامة ابن عاشور قد جانب الصواب عند تفسيره لهذه الآية حينما قال: ((التزكية: جعل الشيء زكيا، أي كثير الخيرات. فقوله: ﴿**تُطَهِّرُهُمْ**﴾ إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات. وقوله: ﴿**وَتُزَكِّيهِمْ**﴾إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات. ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية. فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم)) [45] إذ يقال: وهل حصلت التخلية إلا بالتحلية (أخذ الصدقة)؟ فكيف يقال بأن التخلية قد تقدمت التحلية؟

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12] والذي أبان الله فيه بأن الصدقة سبب لنيل الخيرية، وأنها طهرة للنفس من الأدناس وتخلية لها من الرذائل.

6- بالهجرة والجهاد والتناصر تقع المغفرة:

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ **[الأنفال: 74]** فبالتوالي والتناصر تقع المغفرة والرزق الكريم.

ثالثا- في مجال العلاقات الإنسانية:

يقول الله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96] ويقول سبحانه- أيضاً-: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34] فزوال السيئة وأثرها وهي العداوة إنما يكون بالحسنة، يقول الرازي: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يَعْنِي ادْفَعْ سَفَاهَتَهُمْ وَجَهَالَتَهُمْ بِالطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الطُّرُقِ، فَإِنَّكَ إِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تُقَابِلْ سَفَاهَتَهُمْ بِالْغَضَبِ وَلَا إِضْرَارَهُمْ بِالْإِيذَاءِ وَالْإِيحَاشِ اسْتَحْيَوْا مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَتَرَكُوا تِلْكَ الْأَفعال الْقَبِيحَة)[46].

رابعاً– النجاة في الآخرة من العذاب والعقوبة إنما كانت بسبب التحلي بالخيور:

تقدم معنا أن أهل العلم يتوسعون في استخدام هذا المصطلح (التخلية والتحلية)، فيجاوزون به ما يكون أو ما ينبغي أن يكون من عباد الله في تزكيتهم وتربيتهم لنفوسهم في الدنيا، يجاوزون به إلى ما يقع في الآخرة مما يتعلق بإثابة وجزاء

---

(44)العودة إلى القرآن لماذا وكيف، مجدي الهلالي (ص: 92).

(45) التحرير والتنوير لابن عاشور23/11.

(46) مفاتيح الغيب للرازي 565/27.

المؤمنين والمطيعين، وعقوبة ومؤاخذة الكفار والعاصين، وهذا يؤكد اطراد القاعدة في الأحكام الدنيوية والأخروية على وجه السواء، ومما يمكن الاستدلال به: قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً**﴾ **[طه: 112]**، فالآية صريحة في أن تحليهم بعمل الصالحات، وإيمانهم بربهم الذي تقدم لهم في الدنيا هو الذي أنجاهم أمنهم يوم القيامة؛ فلا يخافون ظلما ولا هضما، فالنفي: ﴿**فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً**﴾ من قبيل التخلية الحاصلة بالتحلية السابقة.

خامسا- في مجال إصلاح المجتمع ووقايته من الفساد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 59] فالأخذ بأمر الله بالتستر بالجلابيب هنا أثمر تخلية (ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ)، ومنه نأخذ أن بإشاعة والحسنات في أوساط المجتمع وحمل الناس عليها تغلق أبواب الفتن والفساد والأذى، وهذا من التحلية التي تقع بها التخلية.

سادسا- أخذ الحلال والمباح فيه غنية عن الحرام:

والمراد تقرير أن في ما أباحه الله وأحله غنية عن ما حرمه وكرهه، وأن العبد لو أخذ الحلال مستمتعا متبلغا به لما احتاج للحرام أصلا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: 30] فإن فيما أحل الله من الأنعام وأباح غنية وكفاية؛ ولذلك تقدم ذكرها ثم ورد النهي بعد؛ ذلك أن المقصود الأول، والثاني إنما هو تبع له، ومتفرع عنه ولازم له.

سابعاً- في مجال أعمال الباطن:

سبق معنا قبل أن من الأبواب التي يكثر فيها معالجة قضية (التخلية والتحلية) باب تزكية النفس وإصلاح الباطن، وكثيرة هي الشواهد من كتاب الله على تخلية الباطن من رديء الخصال إنما تحصل بتحليته بالطيب من جميل الخلال، وتقديم ما تقع به التحلية على ما هو من قبيل التخلية، ونكتفي في هذا الموضع ببعض من ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2- 4] فقد ذكر أولا خمسة أعمال من قبيل التحلية، ثم ذكر ما ترتب عليها من الفوز بالدرجات ومغفرة الذنوب وهذه تخلية نتجت عن تحلية.

2- قوله تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70]، فتحلي القلب بالخير يترتب عليه تحصيل الخير ومغفرة الذنب.

المطلب الثاني- (التخليةُ تحصلُ بالتحليةِ) يقينيةٌ وجوديةٌ:

الحقيقة أن القول بأن التخلية إنما تحصل بالتحلية ومعها كما يعد حقيقة شرعية قرآنية فإنه كذلك يقينية وجودية، فمعلوم أن المكان والحيز لا بد أن يشغل بشيء فإذا ما أريد أن يشغل بشيء آخر لا بد أن يزاح الأول ليحل الثاني؛ ذلك أن الطبيعة تأبى الفراغ، وهذه الإزاحة (التخلية) لا بد لها من حركة وجودية وفعل إيجابي ووجود، وهذا مما لا يختلف فيه عاقلان، فلا تخلية إلا بتحلية تسبقها أو تقترن بها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [الحج: 40]، وتهديم مواضع العبادة مفسدة لم يكن لها أن تدرأ إلا بالجهاد والمدافعة لمن يريد هدمها، وهذه تخلية حصلت بتحلية.

وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18] فإزهاق الباطل، والتخلية، والتخلص منه إنما يكون بقذفه بالحق.

وبمقتضى سنة التدافع بين الخير والشر نجد أن أهل الشر والباطل لا ينتظرون لنشر باطلهم وشرورهم حتى تخلو لهم الساحة من الخير وأهله، بل يحضرون بباطلهم وشرهم ليزاحموا به الحق والخير والهدى، وهم مع ذلك يتفننون في عرض باطلهم، وينوعون في بدائله ووسائله ويزخرفون ما أمكنهم ذلك، فإذا ما وافق ذلك ضعفاً في جانب الحق والخير وأهله أزاحوهم وأزاحوه، وحلوا هم مكانه، وأحلوا باطلهم موضع الخير والحق، وبهذا يكون المبطلون قد وظفوا فقه التحلية والتخلية لكن على طريقتهم المنحرفة ولخدمة أهدافهم الضالة[47].

وفي هجمة أعداء الإسلام على الإسلام وأهله نرى أن ((أعمال ملء الفراغ تواكب أعمال التفريغ في خطة الغزو، حتى لا تضيع على الغازي فرصة من فرص العمل، وتطبيقًا لنظريته التي يقول فيها: إن الطبيعة تأبى الفراغ. وربما يكون التفريغ وملء الفراغ كمن يلقي الحصى في كأس اللبن، إذ يخرج من اللبن بمقدار ما ألقى في الكأس من حصى))[48].

الخاتمة.

أولاً- خلاصة بأهم النتائج:

- التحلية هي الأهم وهي المقصود بالذات، ولكن شيوع المقالة بتقديم التخلية على التحلية دون ضوابط ونظرة إجمالية للباب جعل (التخلية) تزاحم بقوة مبدأ (التحلية).
- جنس الإتيان بالمعروفات والمأمورات أشرف من ترك المحرمات والمنهيات، والعقوبات الربانية على ترك الأوامر أشد من عقوبات مواقعة المحرمات.
- (التخلية إنما تحصل بالتحلية ومعها)، وهذه كما أنها حقيقة شرعية قرآنية فهي قبل ذلك يقينية وجودية، فمعلوم أن المكان والحيز لا بد أن يشغل بشيء فإذا ما أريد أن يشغل بشيء آخر لا بد أن يزاح الأول ليحل الثاني، وهذه الإزاحة (التخلية) لا بد لها من حركة وجودية وفعل إيجاب ووجود وهذا مما لا يختلف فيه عاقلان، فلا تخلية إلا بتحلية تسبقها أو تقترن بها.
- أهل الشر والباطل لا ينتظرون لنشر باطلهم وشرورهم حتى تخلو لهم الساحة من الخير وأهله بل يحضرون بباطلهم وشرهم ليزاحموا به الحق والخير والهدى، وهم مع ذلك يتفننون في عرض باطلهم وينوعون في بدائله ووسائله ويزخرفون ما أمكنهم ذلك، فإذا ما وافق ذلك ضعفاً في جانب الحق والخير وأهله أزاحوهم وأزاحوه وحلوا هم مكانهم وأحلوا باطلهم موضع الخير والحق.

---

(47) ينظر: مقالة منزلة في موقع ملتقى أهل التفسير تحت عنوان (التفكيك- التركيب (التخلية- التحلية) بين المستشرقين والحداثيين.. ونحن!) [11 Dec 2005, 06:05 م].

(48) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير- الاستِشراق- الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم – دمشق، ط الثامنة، 1420 هـ- 2000 م ص261.

التوصيات والمقترحات.

إن لتقرير حقيقة (التحلية أولا وبالتحلية تقع التخلية وتتحقق) ثمرات عدة؛ وبذلك يوصي الباحث ويقترح الآتي:

1. توجيه أنظار الباحثين إلى معين لا ولن ينضب من القضايا، والموضوعات القرآنية، التي تأتي في سياق البناء، وإقامة المعروفات، واجتلاب المصالح، ودراستها برؤية قرآنية تؤثر المبادرة لتبني الخيرات التي تزاحم الشرور والأضرار على مجرد الاكتفاء بالتحذير والتنديد منها ورفضها.
2. توجيه الرأي العام الإسلامي لإيثار العمل، وتبني البدائل والخيارات المتنوعة، وتقبل ما يأتي من الآخر من هذا القبيل شريطة عدم معارضة كل ذلك مقتضى الديانة ومقاصدها وغاياتها.
3. لفت أنظار الدعاة والعاملين لدين الله والساعين لإبلاغ رسالة القرآن لأخذ موقع المبادر والفاعل والمتبني لمشاريع الإصلاح، وتنويع الخيارات، والانفتاح على البدائل، واستحداث المحاضن والقنوات التي تستوعب جماهير المدعوين من المسلمين وغيرهم، واستثمار الطاقات الكامنة في أبناء الأمة في البناء وإقامة المعروفات، واستنبات المصالح، وجميل الخصال، وتوسيع الحمى وفتح المجال لاحتضان الأمة كل الأمة وتظليلها بوارف شجرة القرآن العظيمة، وشمول الإخاء الإسلامي الواسع بدلا من التزام موقع المدافع عن ضيق الحمى والرد عنه شبهات وحملات الخصوم التي لم ولن تنتهي، والاكتفاء بإعطاء هذا الدور الثاني ما يستحق وعدم إعطائه أكثر مما يستحق.
4. أن فقه التحلية والتخلية والوقوف على سننه ومعالمه لمما يتوجب إشاعته وتبنيه مسلكا دعويا وتربويا ومشروع حياة، ولا يستغني عنه مسلم أو مسلمة في خاصة نفسيهما، كما لا تستغني عنه الأسرة دائما وخاصة في هذا العصر الذي تشكلت فيه الشرور وصور الباطل والضلال، وتنوعت وزخرفها أصحابها بشتى الزخارف، وصور التزيين والإغراء، فلا بد من جهد مقابل تنهض به الأسرة المسلمة المعاصر.
5. أن المراجعات التي تضمنها هذا البحث مما ينبغي أن يتدارسه القائمون على الشأن الدعوي والتربوي من رواد الخيرية ودعاة التغيير نحو الأفضل، ويتبعوا ذلك بوضع برامج ملهمة مبادرة تجتذب وتستوعب وتحتضن مختلف شرائح المجتمع بجميع فئاته العمرية
6. أن المسلم ينبغي أن يكون محكوماً بهدف الوجود، وهو عبادة الله، ولتحقيق ذلك وجب انشغاله بالأهداف التي توصل إلى هدف الوجود، والتي ترتقي بالنفس وبنائها، وهذه الأهداف متنوعة بتنوع المناشط الحياتية للمسلم في يومه وليلته، ومن دون ريب أن مثل هذه الأهداف هي التي تسمو بالمسلم عن حياة البطالة والعبث.

قائمة المصادر والمراجع.

1. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ/2003م.
2. الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ
3. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر – القاهرة، ط3، 2002م.
4. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002.
5. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة.
6. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ط 1419 هـ
7. بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ) مطبعة الترقي، ط1، 1965.

8. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
9. تخريج أحاديث الإحياء للعِراقي وابن السبكى والزبيدي دار العاصمة للنشر – الرياض، ط1، 1987 م.
10. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي، عالم الكتب، 1425هـ/ 2005م.
11. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت.
12. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، - 1420 هـ (29/ 470).
13. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن على خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
14. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1.
15. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1، 2001م.
16. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، ط1، 1422هـ
17. جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، عبد الله البخاري، ط1، 1999م، دار ابن عفان للنشر و التوزيع.
18. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، دار الصميعي (رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية)، ط الأولى 1416 هـ- 1996 م.
19. جواهر القرآن أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط الثانية، 1406 هـ- 1986 م.
20. حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) دار النشر: دار صادر- بيروت
21. دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م.
22. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، 1415 هـ
23. سلم أخلاق النبوة محمود محمد غريب، دار القلم للتراث – القاهرة، ط2، 1419 هـ- 1998 م.
24. سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن احمد بن عمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت 1413هـ ط9، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد نعيم العرقسوسي.
25. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري إلى مني تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري- مطهر بن على الإرياني- د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان، ط1، 1420 هـ- 1999 م.
26. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ- 1987م.
27. صفوة التفاسير محمد على الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ- 1997 م.
28. طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودي راجع وضبط الطبعة لجنة من العلماء بإشراف من الناشر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1403 هـ 1983م.
29. العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج لعبد الفتاح أبي غدة.
30. عوائق في طريق العبودية أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، مركز النجيدي – بريدة، ط الثانية، 1423 هـ
31. فتح البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ- 1992 م.
32. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت ص. ب: 5787/113، ط 2، 1982م.

33. الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ- 1973.
34. مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن على رضا (المتوفى: 1354هـ) وغيره من كتاب المجلة.
35. مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
36. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت.
37. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي – القاهرة.
38. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، 1411 – 1990م.
39. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
40. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى 1408 هـ- 1987م.
41. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:1420هـ- 2000م.
42. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت.

List of sources and references.

1. Al-Alam, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad al-Zarkali al-Dimashqi (deceased: 1396 AH), Dar al-Ilm for Millions, 15th Edition, 2002.
2. Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Sahih al-Bukhari from the affairs of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, his Sunnah and his days = Sahih al-Bukhari, by Muhammad bin Ismail al-Bukhari, investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasser, Dar Touq al-Najat (photographed from al-Sultaniyya), 1st edition, 1422 AH.
3. Al-Manar Magazine, a group of authors, Muhammad Rashid bin Ali Reda (deceased: 1354 AH) and other writers of the magazine.
4. Al-Mustadrak on the Two Sahihs, Abu Abdullah Al-Hakim, investigation: Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - Beirut, First Edition, 1411-1990 AD.
5. Al-Sihah is the crown of language and the authenticity of Arabic, Abu Nasr Ismail bin Hammad al-Gawhari al-Farabi. Investigated by: Ahmad Abd al-Ghaffour Attar, Dar al-Ilm for Millions - Beirut, fourth edition 1407 AH - 1987 AD.
6. Al-Wafi bi al-wafayyat by Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah al-Safadi (deceased: 764 AH) investigation: Ahmed al-Arnaout and Turki Mustafa, Ihya al-Turath House - Beirut, year of publication: 1420 AH - 2000 AD.
7. An Introduction to the Interpretation of the Qur'an and Its Sciences, Abdel-Gawad Khalaf Mohamed Abdel-Gawad, Dar Al-Bayan Al-Arabi - Cairo.
8. Benefits by Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut, second edition, 1393 AH - 1973.
9. Biographies of the Flags of the Nobles by Imam Muhammad bin Ahmad bin Oman bin Qaymaz Al-Dhahabi, Al-Risala Foundation, Beirut 1413 AH, 9th edition, investigation: Shuaib Al-Arnaout - Muhammad Naim Al-Iraksousi.

10. Efforts of Hanafi scholars to invalidate the beliefs of the graveyard Abu Abdullah Shams al-Din bin Muhammad bin Ashraf bin Qaisar al-Afghani (deceased: 1420 AH), Dar Al-Sumaie (PhD thesis from the Islamic University), first edition 1416 AH - 1996 AD.
11. Hashiya Al-Shihab on the interpretation of Al-Baydawi = The Intention of the Judge and the Sufficiency of Al-Radi on the Interpretation of Al-Baydawi Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Omar Al-Khafaji Al-Masry Al-Hanafi (deceased: 1069 AH) Publishing House: Dar Sader - Beirut
12. Ighathat Al-Lahfan fi Traits of Satan, by Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub Ibn Qayyim Al-Jawziyyah.
13. Index of indexes, proofs, dictionaries, sheikhdoms, and serials, Muhammad Abd al-Hay bin Abd al-Kabeer bin Muhammad al-Hasani al-Idrisi, known as Abd al-Hay al-Kattani (deceased: 1382 AH), investigation: Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, p. Box: 113/5787, 2nd edition, 1982 AD.
14. Interpretation of Abi Al-Saud = Guidance of the Right Mind to the Advantages of the Holy Book Abu Al-Saud Al-Amadi Muhammad Bin Muhammad Bin Mustafa (deceased: 982 AH) Arab Heritage Revival House - Beirut.
15. Interpretation of the Holy Qur'an (Interpretation of Al-Manar), Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Bahaa al-Din bin Ali Khalifa al-Qalamoni al-Husayni (deceased: 1354 AH), the Egyptian General Book Organization, 1990 AD.
16. Islamic education, its origins and development in the Arab countries, Muhammad Mounir Morsi, The World of Books, 1425 AH / 2005 AD.
17. Liberation and Enlightenment "Liberation of the Right Meaning and Enlightenment of the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", by Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), the Tunisian Publishing House - Tunisia, 1984 AD.
18. Obstacles in the way of slavery, Abu Muhammad Abdul Karim bin Saleh bin Abdul Karim Al-Hamid, Al-Nujaidi Center - Buraidah, second edition, 1423 AH.
19. Opening the statement in the purposes of the Qur'an Abu al-Tayyib Muhammad Siddiq Khan al-Qannouji (deceased: 1307 AH) about me by printing it and presented it to him and reviewed it: Servant of Knowledge Abdullah bin Ibrahim al-Ansari, the modern library for printing and publishing, Sidon - Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
20. Refining the Language by Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, investigation by Muhammad Awad Merheb, Dar Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: First, 2001 AD.
21. Sahih Muslim, by Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushairi Al-Nisaburi (deceased: 261 AH), investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Arab Heritage Revival House - Beirut.
22. Signs of miracles in the context of brevity, by Badi Al-Zaman Saeed Al-Nursi, investigation by Ihsan Qasim Al-Salihi, Suzler Publishing Company - Cairo, 3rd edition, 2002 AD.
23. Single Scholars Who Preferred Knowledge to Marriage, by Abd al-Fattah Abi Ghuddah.
24. Statement of meanings Abdul Qadir bin Mulla Huwaish Al-Sayed Mahmoud Al Ghazi Al-Ani (deceased: 1398 AH) Al-Tarqi Press, 1st edition, 1965.
25. Tabaqat al-Mufassireen by al-Hafiz Shams al-Din Muhammad ibn Ali ibn Ahmad al-Dawoodi. Revised and edited the edition by a committee of scholars under the supervision of the publisher. Edition of Dar al-Kutub al-Ilmiya, Beirut, Lebanon, first edition 1403 AH 1983 CE.
26. Tafsir Al-Razi = Keys to the Unseen or the Great Interpretation, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Ray (deceased: 606 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 3rd edition - 1420 AH (29/470).

27. Takhrij Hadiths of Revival by Al-Iraqi, Ibn Al-Subki and Al-Zubaidi, Capital House for Publishing - Riyadh, 1st edition, 1987 AD.
28. The basis for interpretation, Saeed Hawwa (died in 1409 AH), Dar Al-Salam - Cairo, 6th Edition, 1424 AH.
29. The Call of the Messengers, peace be upon them, Ahmed Ahmed Ghallush, Al-Risala Foundation, first edition 1423 AH - 2002 AD.
30. The deaths of notables and the news of the sons of the time of Imam Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr bin Khalkan, investigation d. Ihsan Abbas Dar Sader Beirut edition.
31. The Efforts of Abi Al-Thana Al-Alusi in Responding to the Rejectionists, Abdullah Al-Bukhari, 1st Edition, 1999 AD, Dar Ibn Affan for Publishing and Distribution.
32. The elevators of sight to supervise the purposes of the surah Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Ribat bin Ali bin Abi Bakr Al-Bikai (deceased: 885 AH), Al-Maarif Library - Riyadh, first edition 1408 AH - 1987 AD.
33. The elite of interpretations, Muhammad Ali al-Sabouni, Dar al-Sabouni for printing, publishing and distribution - Cairo, 1st edition, 1417 AH - 1997 AD.
34. The Ethics of Prophethood, Mahmoud Muhammad Gharib: One of the scholars of Al-Azhar Al-Sharif and the religious mentor for the youth of Cairo University, Dar Al-Qalam Heritage - Cairo, the second edition - 1419 AH - 1998 AD.
35. The impact of faith in immunizing the Islamic nation against destructive ideas, Abdullah bin Abdul Rahman Al-Jarbou, Deanship of Scientific Research, Islamic University, Madinah, Saudi Arabia, 1st edition, 1423 AH / 2003 AD.
36. The Intermediate Interpretation of the Holy Qur'an, Mohamed Sayed Tantawi, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Faggala - Cairo, 1st edition.
37. The Jewels of the Qur'an Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 AH), investigation: Dr. Sheikh Muhammad Rashid Reda al-Qabbani, Dar Ihya al-Uloom, Beirut, second edition, 1406 AH - 1986 AD.
38. The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an, Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin al-Mahdi al-Fasi al-Sufi (deceased: 1224 AH), investigation: Ahmed Abdullah al-Qurashi Raslan, publisher: Dr. Hassan Abbas Zaki - Cairo, 1419 AH.
39. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani, by Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (deceased: 1270 AH) investigation: Ali Abd al-Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, first edition, 1415 AH.
40. The Sun of Science and the Medicine of Arab Speech From Al-Kaloum by Nashwan bin Saeed Al-Hamiri to Mona. Investigated by: Dr. Hussein bin Abdullah Al-Omari - Mutahar bin Ali Al-Iryani - Dr. Youssef Muhammad Abdullah, Dar Al-Fikr Al-Moasar (Beirut - Lebanon, 1st edition, 1420 AH - 1999 AD.
41. The virtues of interpretation, Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad Sa`id bin Qasim al-Hallaq al-Qasimi (deceased: 1332 AH), investigation: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Dar al-Kutub al-Alami - Beirut.
42. Total Fatwas, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Abd al-Halim bin Taymiyyah al-Harani (deceased: 728 AH), investigation: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, the Prophet's City, Saudi Arabia, 1416 AH / 1995 AD.